وجود الشاعر في لامية العرب للشنفرى
-دراسة في الظواهر الموضوعية-

م.م. ظفار نجم عبد العبدلي
المديرية العامة لتربية المثنى

الملخّص

تعدُّ لامية العرب للشنفرى ، من أهم قصائد العصر الجاهلي ، إذ حملت في طياتها ملامحَ لجوانب فكرية ومادية عن حياة الصعاليك ، وتمثل التجسيد الحي لشخصية الشنفرى ، إذ عبر فيها الشاعر عن نزعته العقلية ، والانفعالية.

وركزت الدراسة على تناول وجود الشاعر في (لامية العرب) للشنفرى من خلال دراسة الظواهر الموضوعية في القصيدة ، منها : ذاتية الشاعر وعلاقتها بالهم الجمعي ، وانتقال (الشنفرى) من عالمٍ قاسٍ يشعر فيه بالظلم إلى عالمٍ مثالي يمثل وجوده ، وعلاقة الشاعر بالأشياء / الموجودات التي تحيطه ، ومدى تأثره بالمنظومة الاجتماعية والأخلاقية عند تحديد وجوده. فهذه ظواهر موضوعية ضمن منجز إنساني إبداعي فكري تتداخل فيه حاجة الشاعر لإبراز وجوده ضمن عادات وتقاليد المجتمع .

DOI: 10.18018/URUK/017-10/219-236

المقدمة

إنَّ تطـوَّر المبـادرة الفرديـة، وتحويلهـا إلـى فعـل جمعـي فـي مجتمـع مـا، يشـترط فيـه تـوافر الأسـباب والمصـلحة المباشـرة التـي تُعظِّـم الجانـب الإبـداعي، وتحدد وجود الفرد ضمن المنظومة الجماعية.

وفـي (لاميـة الشـنفرى) تُلمـح تلـك العلاقـة الوشـيجة بـين الشـاعر وبيئتـه التـي اتخـذها مرتكـزاً ومنطلقـاً في تحديـد وجـوده، فكـان العـالم الـذي رسـمه الشـنفرى يعكـس آفـاق فكـره ورؤيتـه التأمليـة التـي تختـزل التصـور العـام للحيـاة على وفـق منظـور الشـاعر الخاص.

والمتأمـل في (اللاميـة) يجـدُ في طياتهـا ذلـك الإنجـاز الإنسـاني الـذي تحفـزه حاجـة الإنسـان لوجـوده ضـمن عـادات وتقاليـد مجتمعـه، إذ يعبـر الشـاعر عنهـا بصـدق الانفعـال، والنزعـة العقليـة التـي أطَّـرت خيـال الشـاعر وتفكيره.

فـ(لامية الشـنفرى) ترسـم بدقـة ملامـح الجوانـب الماديـة والفكريـة في حيـاة الصـعاليك، وتمثـل التجسـيد الحي لشخصـية الصـعلوك، فالشـاعر قـد سـجّل كـل مـا دار في شـعورهم، موحيـاً بمـا تَغيَّـب في كـوامن أنفسـهم ورغائبهـا، ليؤكـد أنَّ الشـعر يحمـل ظـواهرَ جماليـة تمثـل وجوده.

ويهـدف البحـث إلـى تحديـد مفهـوم الوجـود عنـد (الشـنفرى) في قصـيدته، بعـدّها منجـزاً إنسـانياً إبـداعياً، وقد سرتُ فيه بالخطوات الآتية:

1- دراسـة الظـاهرة في شـكلها العـام ، ضـمن الواقـع الجمعي الذي ينتمي إليه الشاعر.

2- التوغـل فـي الظـاهرة ومعرفـة جزئياتهـا وعلاقتهـا بفكر الشاعر ووجوده.

3- بيـان تـأثير هـذه الظـاهرة في إحاطـة وجـود الشـاعر من خلال ما يقدمه في الصور الشعرية.

فكرة الوجود في القصيدة

يتعلـق الشـاعر منـذ اللحظـة الشـعرية بقصـيدته، متـأثراً بتجربتـه الشـعورية التي يعيشـها، فينـزع إلى اقتراح صـورة للمسـتقبل تـلازم أنـاه ، وتربطـه بعلاقـة عميقـة ببيئتـه، لكنـه لا ينفـك عـن ظـلال الماضـي وضـغط الذكريات.

فالشـاعر هـو المحـور الـذي تـدور حولـه الأمـور ومجـاري الحيـاة ، فهـو مـدعو بشـكل اسـتثنائي إلى إيقـاظ ملكتـه الأولـى (اللحظـة الشـعرية) بطاقتـه التخيليـة الاسـتنباطية، اسـهاماً منـه بعمليـة التغييـر الفعَّـال بمـا يمتلكـه مـن إرادة وإيمـان ثابـت، فيشـارك في حفـر المجـرى المضيء الذي يفضي إلى غدٍ أكثر إشراقاً.[1]

فالنتـاج الأدبي، مثـل بقيـة العلـوم الإنسـانية ((هـو فكـرٌ ومعرفـة بالعـالم النفسـي والاجتمـاعي الـذي نسـكنه، والواقـع الـذي يطمـح الأدب إلى فهمـه، وهـو بكلِّ بسـاطة.. التجربـة الإنسـانية))[2] فهـو نـوع مـن المعرفـة ؛ لأنـه يوضـح الطبيعـة الإنسـانية ويضـيء جوانبهـا، فمتعتنـا تتحقـق عنـد رؤيـة تلـك الطبيعـة موضـحة مضـاءة الجوانـب، فهـذه الطبيعـة الإنسـانية المقصـودة ليسـت تصـويراً حقيقيـاً لهـا، بـل هي معرفـة النـاس في تصـرفاتهم ومعانـاتهم، فعلـى الشـاعر أنّ يكـون عارفـاً بطبـائع النـاس وعـاداتهم وتقاليـدهم وأحـوالهم، ليكـون معبـراً عـن الهـم الجمعي كمـا يعبـر عـن الهـم الفـردي ، هـذه المعرفـة كمـا يراها(مصـطفى الجـوزو) يُقتضـى فيهـا ((تجـاوز المعرفـة العاديـة إلـى المعرفـة الانتقائيـة التنظيمية التي لا غنى لها عن العقل))[3]

DOI: 10.18018/URUK/017-10/219-236

فعندما يريد شاعرٌ ما، إثبات وجوده -كالشنفرى الذي هو في صراع مع المجتمع والفقر- لا بد أنْ تكون لديه الخبرة التي تنبع من شخصيته وتجاربه المكتسبة التي تتمثل له حقائقَ ومواقفَ تجاه الحياة، وتجاه المجتمع، محددةً وجوده من خلال شعوره وإدراكه لها، ومن مدى تقبله للقيم الاجتماعية والأخلاقية الراسخة.

هذه المعرفة والخبرة هي من تمكّن الشاعر من التعبير عن الحياة بمعناها الأوسع، فهي لا يمكن أن تؤطر بلغة القصيدة وحدها، بل بما يرتبط بتجربته الإنسانية لتكون جزءاً من تجربته الشعورية لتحقيق ذاته ووجوده.

ومن هذا المنطلق تبرز وجودية الشاعر، لتكون الخطوة الأولى نحو الإبداع الفني في القصيدة، فتكشف عمّا شهده الشاعر من نقص في بيئته، وكيف دفعه شعوره بهذا النقص إلى تحري الحل الذي يرضيه ويوافق أفكاره [4]، فيظهر إبداع الشاعر في قصيدته لتحديد وجوده، فكل وجود يمارس دون إبداع – كما يرى علي حرب – وجود زائف أو وجود منقوص فالإنسان ((يتمتع بالحضور ويتصف بكونه أقوى من نفسه ، وبأنه يسبق ذاته ويبدع في حياته))[5] أي بمفهوم آخر هو وجود الفرد في العالم الذي يهيئ له أن ينتقل إلى عالم يمثل تعاليه.[6]

فيتحول النص الإبداعي إلى تجربة وجودية ، تتجاوز الأطر الذاتية والموضوعية، ويصبح ميداناً معرفياً، ومنطقة خصبة للعمل الفكري التأملي ، له مشروعيته وكينونته المستقلة، فتتولد العلاقة بين اللغة والشعر والفكر؛ لأنَّ الوجود ((هو ما ينكشف من خلال اللغة، ومن ثم من خلال الشعر والتفكير الشعري، الذي يقتضي سؤال الوجود))[7]

فالتقاطع الحاصل بين الشاعر والمجتمع يحدد وجود الشاعر في قصيدته، فيكون محوراً يدور فيها لإثبات وجوده الذي هو ابن اللحظة الآنية، والانفعال، والقلق من الصراع القائم بينها، فالإنسان خاضع للعمل والحياة واللغة، فهي التي تحدد وجوده، ولا يمكن الوصول إليه إلا عن طريق كلامه، أو جسده، أو الموجودات التي يوجدها[8]، فهو((كائن لا يفارقه قلق الوجود.. كائن يسعى إلى تفرده ولا يكف عن صنع ذاته وخلق عالمه))[9]فإبداعه في بناء عالمه وصنع ذاته، يحدد وجوده، ويميزه من غيره، فبتعدد الأفكار وطرح التساؤلات وتأمل الحياة، يصبح الشعر تعبيراً عن فكرة فلسفية أو دعوة إلى التغيير أو الإصلاح بما يكتنفه من خبرة ومعرفة.

وإذا كانت المعرفة نمط وجود أول ومشترك بين الذات التي تعرف، وموضوع المعرفة[10]، فالشنفرى يمتلك من الخبرة والمعرفة ما يمكنه من تأسيس وجوده ، ويتضح هذا عند ذكره (قصة القطا) إذ يقول[11]: [من الطويل]

وتشربُ أسآرِي القطا الكُدْرُبعدما

سرتْ قرباً أحناؤها تتصلصلُ

هممتُ وهمَّتْ وابتدرنا وأسدلت

وشمّر مني فارطٌ متمهلُ

فولّيتُ عنها وهي تكبو لعقرهِ

يباشرُهُ منها ذقونٌ وحوصلُ

كأنَّ وغاها حجرتيه وحوله

أضاميم من سفر القبائل نُزَّلُ

توافينَ من شتى إليه فضمّها

كما ضم أذواد الأصاريم منهلُ

فغبَّت غِشاشاً ثمَّ مرَّت كأنَّها

مع الصبح ركبٌ من أُحاظة مجفِلُ

DOI: 10.18018/URUK/017-10/219-236

فـ(الشنفرى) سمح لنفسه أن يدخل إلى جماعة القطا فوصف سلوكها وفسر طبائعها، وأوضح ما فيها، وما تسعى إليه، كأنّه عرفها بخبرته وطول دربته بالحياة الصحراوية، فوظَّف هذه الخاصية في تحديد وجوده ، وما يشعر به تجاه الحياة بلغة مجازية متخيلة، على الرغم من ظاهرية انتماء الشاعر وإدراكه الذي أفضى إلى خلق تصورات هي أشمل وأكثر إيضاحاً من الصورة الحقيقية.

ويوظّف الشاعر معرفته الواسعة ببيئته وخبرته بالحياة التي يألفها حين يمزج بين الطبيعة وحالته النفسية، ليظهر قدرته الفائقة على خلق صور فريدة ، إذ يقول :[12]

وإلْـفُ هُمُـومٍ ما تزالُ تعودُهُ

عياداً كحُمَّى الرِّبع أو هي أثقلُ

إذا وردتْ أصـدرْتُها ثم إنّها

تثوبُ فتأتي من تُحَيْتُ ومِنْ علُ

إذ سعى الشاعر إلى تحقيق وجوده بين معطيات النفس المدركة، الحاملة للخبرة وملامح الطبيعة المؤثرة، التي تعطي صوراً حسية نابعة من مشاعره الكامنة، ورغباته المكبوتة الممتزجة بما يدركه من ملامح الطبيعة في صورها الشكلية الظاهرة؛ ليصبح التفكير التأملي في الشعر تأسيساً للوجود بواسطة القول،[13] فالوجود الذي نبحث عنه، هو ذلك الوجود الإنساني الإيماني بالحياة، الذي يفسر مأساة الإنسان في مجتمعه المعيش.

إنَّ الحديث عن الوجود في فكر الشاعر لا يكتمل إلّا بالحديث عن الحرية وأثرها في تحديد الوجود ودراسته ؛ فالحرية ترتبط بطبيعة الإنسان المفكر الذي لا يقيم على ضيم أو مذلة ، والمتطلع لحياة أفضل ، فالذي يفتخر بالشجاعة والكرم والتحلي بالقيم الأخلاقية لا بدَّ أنْ يكون حراً، فالوجود الفعلي عند المبدع هو خروجه((من حالة الخمول البدائي بواسطة الثورة النفسية الناتجة عن القلق واليأس، إلى جوٍّ من الحرية المطلقة، يستطيع فيه أن يشكل حياته بمحض إرادته متحملاً المسؤولية الكاملة عن جميع تصرفاته ، وأن يضفي على العالم الذي يعيش فيه، معنى ومنطلقاً))[14] فالشاعر له الحرية نفسها من حيث محاكاة الطبيعة وتصويرها ومشاركة الأشياء ليحقق غايته، وما يصبو إليه من خلال شعره ، وهذا ما نجده في أغلب أبيات (لامية الشنفرى).

فقد أصبحت الحرية عند الشنفرى مشكلة تتسع لطموحه، وما يمتلكه من مخيلة تمكنه من خلق عالمٍ يحمل أفكاره وتأملاته ليعيش فيه بحرية، حتى وإن كان عالماً يتربص فيه الموت بساكنه؛ لأنَّ الحرية ستصبح غاية يسعى إلى تحقيقها لارتباطها بوجوده من جهة، والمجتمع من جهة أخرى((فالشعور بالذات يقتضي الشعور بالحرية، ومن هنا فإن الذات والإرادة والحرية معانٍ متشابكة يؤيد بعضها بعضاً))[15]

إنَّ تناول العالم المتخيل عند الشاعر يفرض على المتلقي أن ينظر في الواقع بعيداً عن قيود العقل والمجتمع وإسراف الذات، ويركز في العالم الذي رسمه (الشنفرى)، ويكشف حقيقة الحرية عن طريق الموازنة والمقارنة مع العالم الحقيقي؛ لأنَّ الوجود الذي نمارسه في حرية، هو وحده الذي يمكِّن الشاعر من أن يمهد الطريق إلى علو يكتشفه في نفسه ليكون موضوعاً للإيمان والإرادة ؛ لأنَّه سيبلغه بوساطة وثبة إلى ما وراء التساؤلات والأسباب وسائر المقولات والشواهد الموضوعية.[16]

DOI: 10.18018/URUK/017-10/219-236

ذاتية الشاعروالهم الجماعي

ما من قصيدة، تصدر عن فراغ نفسي وشعوري يسبق نظم القصيدة، لا تعبّر عن موقف إنساني ، يرتبط بتجربة شعورية تسبق نظمها؛لأن القصيدة ملزمة بالتعبير((عمّا يكون الذهن عليه بالفعل في لحظة من لحظات امتلائه، إنها موقف من العالم، الوجود، الحياة، الموت، القيم الإنسانية بكل ما يمكن أن تنطوي عليه من علاقات وتداخلات مع الآخر))[17]

فظاهريّاً بلغ الشنفرى ذاته في قصيدته بما تحمله من تجربة شعورية ومعرفة ومعاناة وهموم، وعندما نفهم هذه الظاهرة ونفسرها، يتضح أنَّه كان أكثر عمقاً وتأثيراً في التعبير عن معاناته وهمومه عند ارتباطها بالهمّ الجمعي، فهذه القوة والتعمق أعطت النص الحيوية والتجدد والبقاء.

فالأدب يكشف ((خير الكشف عن ذاتية الفرد حين يترجم أعمق ترجمة مطالب الجماعة، وكذلك شأنه في الكشف عن ذاتية الجماعة حين يترجم نفس الترجمة مطالب الفرد))[18] ومن هذا المنطلق يتحول الشعر ((إلى مركز/ نوع معرفي لرؤية وفهم الآخر، العالم .. أي من خلال مبدأ شعرية التطلع إلى العالم كمقابل مختلف لمبادئ رؤيته على وفق سياقات منطقية، فكرية))[19] فضلاً عن ذلك فإنَّ القلق والخوف والفقر ومرارة الإهمال يدفع الإنسان للتعبير عن هذه الحالات وما يصاحبها من مشاعر، عندما لا يجد شاهداً عليها سوى نفسه.

فالشنفرى من الشعراء الذين أرَّقَتْهم الحياة بما تحمله من هموم وانكسارات، فهو يدرك وظيفة وجوده الذي يرتبط بالإرادة الإنسانية والاجتماعية، لهذا رسم عالمه الخاص الذي يشعر فيه بوجود ذاته؛ لينتقل إلى العالم المصور، طارحاً القضايا والأفكار بطابع موضوعي، ومتعاملاً معها بكل مداركه الحسية ليحقق وجوده الذي يشعر به.

هذه القضية ليست خياراً للشنفرى، وإنما جاءت في شعره من أثر المجتمع وثقله على الذات، مما أضفى عليه صراعاً مستمراً بين وجوده الإنساني والمجتمع، هذا الصراع دفع الشاعر بما يحمله من مشاعر الجور والقهر لترك قومه والعروج إلى غيرهم، يقول في ذلك :[20]

أقيموا بني أمّي صدُورَ مطيّكم

فإنّي إلى قومٍ سواكُم لأميلُ

فهو يحاور قومه بأسلوب المتكلم، وبعبارة تمتلئ عاطفة (بني أمي)، وبالأسلوب نفسه ينتقل إلى الشطر الثاني ليطرح عبارة تحمل هموماً ذاتية ترتبط بالهم الجماعي (سواكم)، وكأن الشنفرى بهذه العبارة يجري موازنة ومقارنة مستمرة بين القوم الذين اختارهم وبين أبناء قبيلته بما يحملون من عادات وقيم وأفكار، فكانت الألفاظ مسكونة بالعاطفة والانفعال والإحساس.

ويرتبط الهم الذاتي بالهم الجماعي أيضاً في اختيار الرحيل وترك قومه عندما يقول:[21]

فقد حُمّت الحاجاتُ والليلُ مقمرٌ

وشُدّت لطيّاتٍ مطايا وأرحلُ

فالهم الجماعي حتَّم على الشاعر أنْ يرحل ليلاً ليبرز إحساسه بالظلم، وعدم توافقه اجتماعياً وفكرياً مع أبناء قبيلته ، فشعور (الشنفرى) القائم على القلق المستمر من المجهول وسخط المجتمع، جعله يقاتل بكل ما يملك لإثبات وجوده في عالمٍ يشعر

DOI: 10.18018/URUK/017-10/219-236

به، ويميل إليه، ليتجلى ذلك عند التعبير عن رغباته، وكيانه، وخلجات نفسه بحشد من الصور المؤثرة .

وأول شيء يحدد وجوده بعد الجانب الفكري والأخلاقي، هو حاجته للمكان الذي يعوض مكان قبيلته، لهذا اختار مكاناً واسعاً بسعة طموحاته التي يسعى إلى تحقيقها، وإثباتها في الوقت نفسه، وهي الصحراء وما فيها ، فيقول: [22]

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى

وفيها لِمن خاف القِلَى متعزّل

وهنا تتولد القصدية التي هي في نظر (هوسرل) ((الفكرة الأساسية في الظاهريات، حيث يعتبر أن خاصية كل شعور أن يكون شعور بشيء ما، وبهذه المثابتة يمكن وصفه مباشرة))[23] وهي ظاهرة بدت واضحة في حياة الصعاليك باختلاف دوافعهم، وهي أنهم قد فقدوا توافقهم الاجتماعي[24] ، وهي في أساسها تقوم على الصلة بين الفرد والمجتمع، وهي صلة إمَّا أن تكون على وفاق، وإمّا في صراع، وكلاهما يكشف عن حالة صراع مستمر بين الفرد والمجتمع ليقدمه في لحظة إبداع [25] ، وهو إبداع قائم على علاقة جدلية بين تجربة الشاعر الشخصية والمعطيات الموضوعية المحيطة، ففهم ذات الشاعر وتفسيرها ضمن المجتمع يكشف عن إبداعه، وما يهبه من صورة لأفكاره ضمن الحقيقة التي يطرحها في قصيدته.

هذه الحقيقة ترتبط بنتاجه الشعري الذي هو((ليس فعلاً ذاتياً –وحسب- بل انفعال لبواعث كثيرة بعضها داخلي كامن في لاوعي الشاعر، وبعضها خارجي يقتحم عليه أفكاره وأحاسيسه))،[26] فجاءت أبيات القصيدة فاعلة مشحونة بالدلالة، وتعمل بطاقة على التغيير والتحريض على الفعل، فتحاول أنْ تتغلغل إلى أعماق الإنسان والحياة لتظهر كوامن الإبداع والجمال، وهذا لا يتم إلّا بقدرة القصيدة على تجاوز الذات وصولاً إلى الجماعة.

أمّا نكران الشاعر لأبناء قبيلته واستبدالهم بمجتمع ذي صفات حيوانية، فهو تعويضٌ عن النقص وعن الحاجة للانتماء والأمان، يقول الشنفرى: [27]

ولي دُونكم أهلُون سيدُ عملسٌ

وأرقطُ زهلولٌ وعرفاء جيئلُ

هم الأهل لا مستودعُ السرِّ ذائعٌ

لديهم ولا الجاني بما جرَّ يخذلُ

فشخصية الشنفرى أصبحت وفق المعطيات السابقة شخصية محورية مؤثرة، تحاول أن تهبط إلى عمق المحنة الإنسانية التي تعتريه، ليرتفع بها إلى فضاء يتسع للجماعة، فشعره يعلي من شأن التجربة الذاتية، التي تحوم في أفق الموضوعية، وهو يعتمد في ذلك على العاطفة الجامحة الممتلئة بالأسى وعلى الشجاعة، والخوف والقلق من المستقبل.

انتقال الشاعر إلى عالم مثالي يمثل وجوده

إنَّ القلق والحرمان وغياب العدالة تفرض على الشاعر طرح تساؤلات يفرضها الواقع المعيش، تنطلق هذه التساؤلات من المأساة والحاجة إلى تعويض ما في الواقع، فيعوض الشاعر مكان قبيلته بمكان يتسع لطموحه وأفكاره، ويبدل أفراد قبيلته بشخصيات أخرى يحس معها بأمان، فيأخذ على عاتقه رسم عالم كما يراه ويبدو له، فذلك العالم المنطلق من ذات الشاعر وشعوره وإدراكه، يمثل وجوده.

فالوجود لا يؤكد على المصير الإنساني وحسب، بل يحاول أن يثير مشكلة الإنسان ضمن الواقع الذي يحيطه [28] فيكون باعثاً على إنجاز القصيدة منفعلاً

بروح الثورية، فيستطيع فيه الشاعر حشْد القوى الداخلية الكامنة عنده، على أن يكون التحشيد مشروطاً بالإيمان بالموضوع والتقمص التام له، مما يجعل فعله الثوري قائماً على تغيير ما موجود ،[29] فتتحدد مهمة الشعر التي تقوم على ((إخراج الوعي من عالم الحس إلى عالم التخيل، وعالم التخيل هذا ليس بعالم منفصل عن العالم الواقعي، إنه العالم الواقعي المجرد من كلِّ خط عرضي وغير لازم بغية الكشف عن حركته الداخلية))[30]، ليكون هناك امتداد مع عالمين: حقيقي،ومتخيل قائم على الفكرة، وهذا العالم المتخيل هو الذي يحدد وجود الشاعر بما يحمله من فكر وامتداد لتحقيق سمو غايته، ليشكل الفكر والامتداد وحدة أصيلة متكاملة يتشكل منها كل موجود.[31]

فعمدَ الشنفرى لتصوير عالم أفضل، وحاضر ومستقبل أكثر ملاءمة لذاته القلقة الهاربة من قيود عالمها الحقيقي، والمتطلعة إلى عالم تسمو به أفكاره، عالم متعالٍ يحاول فيه إثبات وجوده، لكنَّ هذا التجاوز الذي يستهدفه الشنفرى لا يمكن أن نفصله عن الواقع؛ لأنه يخرج من صميم الواقع الإنساني.

فبدأ الشنفرى محدداً فكرته الموصوفة بالإيمان المطلق، وهي رسم عالم واسع بسعة الصحراء يجد فيه أمنه وحريته، فيقول :[32]

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى

وفيها لمن خاف القلى متحول

لعمرك ما بالأرض ضيق على امرئ

سرى راغباً أو راهباً وهو يعقل

يتداخل إحساس الشاعر تداخلاً يصعب عزله عن لغة القصيدة، ليكتسب حالة شعورية خاصة بما تستوحيه مشاعره الكامنة ورغباته المكبوتة من خلال أسلوب شعري تتوارى خلفه نبرة تفاؤلية تجاه الحياة ، فعالم الشنفرى يتسم بالحضور الرمزي الذي يشعرنا أنَّه يتجه نحو ردهات التخيل، ويأخذ قاعدته من أفكاره وفرضياته المطروحة، ليشعرنا بوجود علاقة وشيجة بالانتماء للمكان الفني/الصحراء ، هذه العلاقة فرضتها الطبيعة القاسية، التي تعطي استجابة للذات المشعرة غير المستقرة في الواقع الخارجي.

ولم يكتفِ الشنفرى بتحديد مكان عالمه ، بل حدد شخصياته تحديداً واضحاً إذ يقول:[33]

ولي دُونكم أهلُون سيدُ عملسٌ

وأرقطُ زهلولٌ وعرفاء جيئلُ

هم الأهل لا مستودعُ السرِّ ذائعٌ

لديهم ولا الجاني بما جرَّ يخذلُ

فالذئب والحية والضبع والصقر هم عشيرته إذ يملك كل منها صفته الخاصة[34]،ولكن لماذا جعل الشنفرى عالمه عالماً حيوانياً شرسا؟ فهل أراد ما تعنيه هذه الحيوانات بذاتها وشكلها؟

لا يبدو لي ذلك في ضوء ما تقدَّم من دراسة وجود الشاعر، بل هو أراد بها الإنسان بحقيقته، فهو يريد من هذه الحيوانات صفاتها التي تميزها، والمعروفة في البيئة الجاهلية من حيث القوة والسرعة والخلسة والخداع والمكر، والنتيجة أنَّه يكني بهذا العالم عن مجتمع الصعاليك. لهذا يقول: (ولي دونكم أهلون)، ويؤكدها بعبارة (هم الأهل)، فهؤلاء هم أفراد قبيلته الذين يشعر معهم بوجوده، فهم لا يذيعون السر ولا يخذلون الأجير، فيتحقق الوجود لدى الشنفرى عبر شكلين هما:

1- الانتقال من الذاتية الحسية إلى عرض المضمون ذي الفكر الإيماني.

DOI: 10.18018/URUK/017-10/219-236

2- استبدال الخيال بالواقع الراهن للضرورة المفروضة التي تحتم على الشاعر إبراز الموجودات على وفق منظوره العقلي.

علاقة الشاعر بالأشياء التي تحيطه

تعدُّ الطبيعة وعناصرها المختلفة أهم محرك لقرائح الشعراء، ومنبعاً لانجازاتهم الشعرية، سواء أكان ذلك منبثقاً من الطبيعة ذاتها أم كان متخيلاً، فمن غير الممكن أن نحدد وجود الشاعر إنْ لم تكن له علاقة بالأشياء التي تحيطه؛ لتكون معه على تماس مباشر في تحديد وجوده ، فالعمل الفني((لا ينحصر في حدود الموضوع مرسوماً كان أو منحوتاً أو محكياً، وكما أنَّ الأشياء لا تدرك إلا في موضعها من العالم ، كذلك تظهر الموضوعات التي يقدمها الفن وثيقة الصلة بالعالم))[35]

(فالشنفرى) تحيطه صحراء تفيض بكائنات روحية كان يرى في صورها القوى الخفية المحفزة للإبداع ، فأقام معها علاقات تخيلية، أو كان يرى في بعض الأشياء صورة لأشياء أخرى فيستعيرها ليبث فيها الحركة والحياة.[36]كما في قوله : [37]

ترودُ الأراوي الصَّحمُ حولي كأنّها
عذارَى عليهنَّ المُلاءُ المذيّلُ
ويركدنَ بالآصالِ حولي كأنَّني
من العُصمِ أدفى ينتحي الكيح أعقلُ

فهو لا يصف مجموعة من الحيوانات، بل نجده يقدم لنا حياة مكتملة يألفها كما تألفه، ليختار وقتاً جميلاً هو الآصال في مكان يشعر به بالأمن والألفة (ناحية الحصن / المرقبة)، فهذه العلاقة بين الشاعر وما يحيطه، تمتزج بشعوره ووجدانه؛ لأن الحقيقة الإنسانية ذات طبيعة كاشفة وبها وحدها يتحقق الوجود.[38]

فبيئة الحياة الجاهلية التي احتضنت الشاعر ساهمت في توحيد مجال اهتمامه في مستويين هما: وحدة الفكر، ووحدة الصراع، وهما تؤهلانه لمجابهة الحياة وهاتان الوحدتان قد توحدتا وامتزجتا في قصيدة الشنفرى[39]، فالوجود ، بوصفه ظاهرة، يرتبط بواقع الشاعر الخارجي الذي تحكمه ظروف خاصة ترتبط بالشاعر من جهة وبالبيئة المحيطة به من جهة أخرى، هذه الظروف الخاصة تتعلق أيضاً بطبيعة الوعي ومدارج الإدراك لتكون الفعل الذي يحوم في دائرة الوجود.

وهذه الصورة الشعرية نجدها بكثرة في (لامية الشنفرى)، كالصورة الجميلة التي يتميز فيها الشنفرى عن غيره من الشعراء ، عندما يصف قوسه : [40]

هَتُوفٌ من الملس المُتُونِ تزينُها
رصائعُ قد نيطت إليها ومِحْمَلُ
إذا زلَّ عنها السّهم حَنَّتْ كأنّها
مرزّاةٌ عَجْلَى تُرِنُّ وتُعْوِلُ

فالتّميز ليس في الوصف، ولا في لغة القصيدة المؤثرة وحسب، بل في اختياره أوصاف زينة قوسه من أوصاف زينة المرأة : فهو عود أملس، ومزين بالعقد، ومرصع بالخرز لجماله، ليضيف إليها صوت السهم الذي يشبه صوت حنين امرأة ثكلى، فيحاول أن يثبت وجوده في عالم مؤلم وقاسٍ بأن القوس قريب إلى نفسه في هذا العالم مثلما المرأة قريبة من زوجها[41].

فهذا التجسيد الذي يتجلى في قصيدة الشنفرى، يعكس مدى الارتباط بين الذات المنتجة ومعطيات الطبيعة لتشكل عناصرها الأساسية في تكوين عالمه المخيل ، فلا وجود للذات المنعزلة عن العالم، التي تسمى (الآنية)، التي هي عالم مشترك مع

DOI: 10.18018/URUK/017-10/219-236

الآخرين، فيكون الوجود ذلك الذي تقاسمه مع الآخرين/الأشياء التي تحيطه [42].

فالشنفرى في قصيدته يتعامل مع جماعات وليس مع أفراد: جماعة قبيلته، جماعة الذئاب، جماعة النحل، جماعة القطا، جماعة القبائل التي غزاها، كل هذه الجماعات حاول من خلالها إبراز فرديته ووجوده ، فقد كان مؤمناً بأنه جزءٌ متفرد في الجماعة.

وهو عندما يقف محاوراً الأشياء والأماكن، يسعى إلى إعادة بناء علاقته معها، بما تنطوي عليه من قيم ودلالات وجودية، تساعده على الانسجام مع ذاته ، فهو لا يتلقى العالم كما هو، بل يقف أمامه متأملاً ومستوعباً لحقائق الوجود، فكان يدرك ذلك بسعة معرفته وخبرته ببيئته، وقد انتجت هذه المعرفة ، في إطار التجربة العقلية، تأملات وتساؤلات خاصة بالشاعر تجاه وجوده ضمن عالم حقيقي تأثر به.

دراسة وجود الشاعر في قصيدته ضمن المنظومة الاجتماعية والأخلاقية

اقتضت الضرورة الوجودية للإنسان/الشاعر أنْ يكون في منظومة اجتماعية وأخلاقية تحدد وجوده، فيشعر بها ويدركها، ويحاول أنْ يوظّف اللغة المعبرة عن قوة تأثيرها عليه، وتكاد هذه المنظومة أن تكون ثابتة عند الإنسان العربي الجاهلي بشكل عام والشعراء بشكل خاص، فلا يمكن الخروج عنها؛ ((لأن القيمة الاجتماعية للجماعة تسمو دائماً فوق تصورات الأفراد مهما بدوا منفصلين عن الجماعة، وهذه مسألة يدركها الإنسان المنتمي كإدراكه لذاته)) [43]، فليس من شاعر جاهلي يعرض موقف مفارقةٍ من دون غاية أخلاقية أو توجيه اجتماعي، ومن دون امتلاك أدوات التعبير وقدرة التأثير في نفوس متلقيه، [44] فعلاقة الشاعر بالمجتمع تتفرع في ثلاثة اتجاهات [45]:

1- الموقف الاجتماعي من حيث صلته بالعوامل الاقتصادية والبيئة الاجتماعية، والقيم الاجتماعية التي تمد شعره أو تتمثل فيه.

2- المضمون الاجتماعي أو الغاية الاجتماعية التي يحاول الشاعر تحقيقها.

3- التأثير الاجتماعي للشعر لاعتماد الشاعر على جمهور.

فالانتماء إلى المنظومة الاجتماعية هي أزمة ومشكلة أرقت الشنفرى، فسخَّر كل طاقته وقدراته للتغلب عليها، وتجاوزها للفوز بفرديته ضمن إطار الجماعة، وهذا التعارض بين الفردية والجماعية في لامية الشنفرى فيه دافع لإثبات وجوده، وتأكيد ذاته؛ لتحقيق مكانته الاجتماعية والأخلاقية التي ينشدها.

ومن أهم القيم الاجتماعية الأخلاقية في حياة العرب ، قيمة الشجاعة التي تستدعي صفات القوة والإرادة والتحدي، فهي قيمة أساس في حفظ كيانهم، لهذا اقترنت بمطلب اجتماعي وتوجيه أخلاقي، لتظهر هذه القيمة وتبرز من بدايات نزوع الإنسان ورغبته في فعل يراه خيراً ليشبع ميوله وتحقيق رغباته. ((فالشجاعة كسلوك إنساني وباعتبارها موضوعاً للتقويم هو مفهوم أخلاقي وهي بوصفها تأكيداً كلياً وجوهرياً للذات)) [46] وهو سلوك أخلاقي يعمل الإنسان فيه على تأكيد وجوده، متغلباً على تلك العناصر المؤثرة في حياته، والمتعارضة مع التأكيد الجوهري لذاته. [47]

فالشنفرى قد وظّف قيم الشجاعة، والصبر، وقوة الإرادة، وتحمُّل الصعاب، والكرم، وغيرها من

DOI: 10.18018/URUK/017-10/219-236

القيم الاجتماعية والأخلاقية التي تحبب إلى مشاعره الرغبة في تحقيق أهدافه، وقد خلع عليها طابعاً من التجريد يتسم بالفكر القائم على التأمل بما يمتلكه من معرفة. فنراه يقول[48]:

وكلّ أبيٌّ باسلٌ غيرَ أنّني

إذا عَرضتْ أولى الطرائدِ أبسلُ

فهو يبرز قيمة اجتماعية أصيلة في مجتمعه مادحاً نفسه في رفضه الذل والظلم، فهو الشجاع الباسل الذي يخشاه مطاردوه لشجاعته وقوته، ليبرز كيان الشاعر ووجوده من خلال أسلوب المتكلم الذي امتزج بقيمة اجتماعية أصيلة.

ويضيف الشاعر ما يكمّل شجاعته، عندما يحدد أصحابه في رحلة البطولة والصبر والإرادة وهم ثلاثة: قلب شجاع لا يخاف، وسيف مسلول من غمده ، وقوس ذو زينة وتميز، فيقول : [49]

ثلاثةُ أصحابٍ : فؤادٌ مشيعٌ

وأبيضُ إصليتٌ وصفراءُ عيْطلُ

لكنَّ تمثل الصعاليك لقيمة الشجاعة لا يقف عند إشهار السيف وجمال القوس وحسب، بل يبرزون أموراً أخرى تتعلق بالشجاعة، كسرعة العدو، وتحمل الجوع والعطش، والعزة ، والإباء، والخبرة الواسعة بدروب الصحراء وخفاياها، كما في قوله : [50]

وأطوي على الخمص الحوايا كما انطوتْ

خيوطةُ ماريٍّ تغارُ وتُفتلُ

وأغدو على القُوتِ الزهيدِ كما غَدا

أزلُّ تهاداهُ التنائف أطحلُ

وكذلك تظهر على الشنفرى الاعتزاز بالنفس والتطلع إلى العُلا ، وهو يبيّن مغالبة الجوع والصبر عليه ، ويفضل أن يستفَّ تراب الأرض على أن يتطول امرءٌ إليه يده بفضلٍ ، فنفسه حرّةٌ يملأها الإباء ولا تصاحب الضيم أو ترتضيه.[51] فيقول:[52]

أُديم مِطالَ الجُوع حتَّى أميتهُ

وأضرِبُ عنه الذّكرَ صفحاً فأذهَلُ

وأستفُّ تُربَ الأرضِ كيلا يرى له

عليَّ منَ الطّول امرءٌ مُتطوّلُ

ومن ثم نجده يعرض صورة قائمة على المقارنة في قوة التحمل، بين ذاته وجماعة الذئاب، إذ بدت الأبيات الشعرية بسياق موسيقي يعتمد التكرار، موظفاً أسلوب الضمير الغائب محاولاً إظهار قوته وصبره وتحمل الجوع الذي يفوق جماعة الذئاب، فيقول : [53]

وأغضي وأغضتْ واتسى واتستْ به

مراميلُ عزّاها وعزّتهُ مُرمِلُ

شكا وشكتْ ثم ارعوى بعد وارعوتْ

وللصبر إن لم ينفعِ الشّكو أجملُ

وفاءَ وفاءتْ بادراتٍ وكلُّها

على نكظٍ مما يُكاتِمُ ومُجمِلُ

فأسلوب الغائب مع التكرار في العبارات (أغضى – أغضت)،(اتسى– اتست) ، (عزاها – عزته) ، (شكا – شكت) ، (ارعوى – ارعوت) ، (فاء – فاءت) حاول من خلالهما الشاعر إبراز وجوده ضمن المنظومة الاجتماعية التي مثلها بجماعة الذئاب المتوحشة، وفارضاً على متلقيه وجوده بإرادته وشجاعته في التعبير عما يختلج في دواخله من مشاعر.

ويقدم الشنفرى صورة مختلفة تتعلق بشجاعته وبطولته، هي صورة الحرب التي شبهها بالمرأة التي تفرح لوجوده وتحزن لفراقه ؛ لأنه كان يعلم أنَّ الشجاعة تقترن بالفرسان،وبأنَّها توظف في الشعر للدفاع عن المبادئ والقيم الاجتماعية الأخلاقية ،فيقول : [54]

فأن تبتئس بالشنفرى أم قسطل

لما اغتبطت بالشنفرى قبلُ أطول

فقصيدة الشنفرى عبارة عن قيم أخلاقية واجتماعية ضمن منظومة المجتمع المعاش، فقد حملت القصيدة العديد من هذه القيم.

وفي صورة أخرى، يقف الشنفرى واصفاً شجاعته ذات الطابع الصعلوكي في أحدى غاراته في ليلة من ليالي الشتاء الباردة، وكأنه عاش وأحس كل لحظات هذه الليلة، ليُشْعِر متلقيه بأن لها أهمية كبيرة في حياته، وفي تحديد كيانه ضمن دائرة المجتمع الذي يعيشه ، فيقول: [55]

وليلة نحسٍ يصطلى القوس ربُّها
وأقطعُهُ اللّاتي بها يتنبّلُ
دعستُ على غطشٍ وبغشٍ وصُحبتي
سعارٌوأرزيزٌووجرٌوأفكلُ

فهذا وصفٌ ظاهريٌّ لليلة من ليالي الشنفرى الباردة التي قد امتزجت بجانبه النفسي، وكأنها جزء من ذاته، وكأنَّ غزو القبائل جزء من وجوده.

ولم يقف عند هذا الحد، بل نراه يفتخر بقتله لعدد من رجال القبيلة التي غزاها، فيقول: [56]

فأيّمتُ نسواناً وايتمتُ إلدةً
وعدتُ كما أبدأتُ والليل أليلُ

ويأتي الصبح فيجعل الناس في حيرة من أمرهم وهم يتساءلون عن هذا الذي غزاهم، موظفاً أسلوب الحوار المباشر الذي يبرز من خلاله شجاعة الشنفرى وسرعته وحنكته وقوته في إنجاز مهمته فيقول : [57]

وأصبح عني بالغُميصاءِ جالساً
فريقان : مسؤولٌ ، وآخرُيسألُ
فقالوا: لقد هرّتْ بليلٍ كلابُنا
فقلنا : أذئبٌ عسَّ أم عسَّ فُرْعُلُ
فلم تكُ إلا نبأةٌ ثم هوّمت
فقلنا : قطاةٌ ربعَ أم ربعَ أجدلُ
فإن يكُ من الجن لأبرح طارقاً
وإن يكُ إنساً ما كها الإنس تفعلُ

فالشجاعة في القصيدة تتسم بالطابع الإيضاحي، إذ يوضح طبيعة الوجود المرتبط بتأكيد الفعل ، بأسلوب مجازي أو رمزي للوصول إلى غايته الحقيقية.

فالمتأمل في شجاعة الشنفرى يجد معنيين يشير إليهما صراحة، أحدهما: يقوم على الإيمان المطلق بقضيته النابعة من ذاته وكوامنه الداخلية، والآخر: يأخذ مصدر شجاعته وقوة إرادته من الطبيعة والمعطيات الموجودة؛ لتتحول إلى تجليات مبطنة يحاول الشنفرى فيها إثبات وجوده.

وضمن المنظومة الأخلاقية - التي ترتبط بما ذكرته سابقاً- يبدأ الشنفرى بتعديد قيمٍ أخلاقية على وفق أسلوب ذاتي قائم على النفي، لكنَّها في حقيقتها قيم ترتبط بالمجتمع الذي ينتمي إليه الشاعر، فهي صفات يجب أن يتحلى بها الفرد في مجتمع يقدر هذه القيم ويقدسها، والشنفرى يحاول أن يتمسك بها لإثبات وجوده؛ لأنَّه كان يعي أنَّ هذه المنظومة هي أكبر من الفردية التي يسعى إليها ، فيقول : [58]

ولستُ بمهيافٍ يُعشّي سوامه
مُجدّعةً سُقْبانها وهي بُهّلُ
ولا جُبّإ أكهى مُرِبٍّ بعرسهِ
يطالعها في شأنهِ كيفَ يفعلُ
ولا خرقٍ هيقٍ كأنَّ فؤادهُ
يظلُّ به المكّاءُ يعلو ويسفُلُ
ولا خالفٍ داريةٍ مُتغزّلٍ
يروحُ ويغدو داهناً يتكحّلُ
ولستُ بعلٍّ شرُّه دُونَ خيرِهِ
ألفَّ إذا ما رُعتَه اهتاجَ أعزلُ
ولست بمحيارِ الظلامِ إذا انتحتْ
هُدَى الهوجلِ العِسّيف يهماءُ هُوجلُ

DOI: 10.18018/URUK/017-10/219-236

فعدم التدبير، والجبن، والخلق السيء، وملازمة الرجل لامرأته ومشاورتها في كل الأمور، والخائف، والتافه، والمقيم في داره لا يبارحها، والمتفرغ لمغازلة النساء، والداهن لشعره والمتكحل، والمرء الذي شره أقرب من خيره، أو أعزل السلاح، أو متحير ضال، أو أحمق[59] ، كلُّها صفات يراها الشاعر دونية فينفيها عن نفسه؛ لأنها سلوكيات يرفضها المجتمع ويمقتها، فالشنفرى عندما أراد إثبات وجوده من خلال القيم الأخلاقية لم يخرج عن دائرة المجتمع، وما ذهبت إليه قد أكده الشنفرى في قوله :[60]

ولولا اجتنابُ الذّأم لم يُلفَ مشربٌ
يُعاشُ به إلا لديَّ ومأكلُ
ولكن نفساً مُرَّةً لا تقيم بي
على الذام إلّا ريثما أتحوّلُ

ومن القيم الأخلاقية في القصيدة، (الكرم) الذي يُعدُّ من القيم العالية في المجتمع الجاهلي، وقد عبر عنها الشنفرى بطريقته الخاصة بما يتلاءم مع حياة الصعاليك ، فيقول :[61]

وإن مُدتِ الأيدي إلى الزادِ لم أكُنْ
بأعجلِهم إذ أجشعُ القوم أعجَلُ

وما تعدد القيم الأخلاقية في لامية الشنفرى إلا طلباً للفضل والرفعة والمكانة الاجتماعية، وعدم منافسته أو مزاحمته فيها، معبراً عن ذلك بقوله :[62]

وما ذاكَ إلّا بسطةٌ عن تفضُّلٍ
عليهم وكان الأفضل المتفضلُ

فالشنفرى عند إبرازه للقيم الأخلاقية ضمن المنظومة الاجتماعية، يقدُّمها من خلال بعدين:

البعد الفردي : فهو يطمح إلى التميز والتفرد بدوافع الأنا من جهة، ويبحث عن الإنصاف والنفور من الكراهية والحقد من جهة أخرى.

البعد المجتمعي : حاول الشنفرى تقمص روح القبيلة، والسعي الحثيث إلى أن يكون مسؤولاً عارفاً بالقيم الأخلاقية، وهي قيمٌ تقع ضمن منظومة المجتمع الذي يحيطه، فهي منظومة تسبق فردية الشاعر.

فلسفة الصورة الشعرية

أصبحت الصورة الشعرية لدى الشنفرى في لاميته طريق الشاعر في التأمل والتفكير بحقيقة وجوده والسعي لتغيير الواقع، فالشاعر يتغلغل من خلال أحاسيسه في مسارات الطبيعة،فتظهر على الصور الشعرية التي يخلقها، وهو بطبيعة الحال لا ينقلها كما هي بل يخضعها لسطوته المعرفية، فتأتي صوره الشعرية مؤكدة لفكرته التي يمكن أن نستشف دلالتها من خلال قيامها على الجانب الحسي من جهة، واليقظة الباطنية من جهة أخرى ؛لأن الإدراك الحسي في الصورة الشعرية لا يمكن أن نفهمه بمعزل عن التجربة الشعورية المتأثرة بالجانب الفكري للشاعر.[63] فجودة العمل الفني ودقة الوصف يرتبطان بقوة الإدراك ، ووضوح الصورة وجزئياتها في الذهن.

وعلى وفق المعطيات السابقة يمكن القول:إنَّ هناك نقطة واحدة يمكن الانطلاق منها لتحديد العلاقات المتراكمة والمتداخلة في التصوير الشعري، وهي ذاتية الشاعر، فهي القادرة على تقديم الصورة الشعرية على وفق إحساسها الآني وما يناسبها؛ لأنَّ قيمة الشعر ((لا تتركز في مشاعرنا، ولكن فيما نصنع في مشاعرنا من صور))[64] ، وهي تعتمد – كما يجدها الفلاسفة العرب- على ثلاث قوى هي : المدركة ، المصورة ، المفكرة .[65]

DOI: 10.18018/URUK/017-10/219-236

فمهمة الشاعر في مجتمعه تتجلى في كونه ((ممثلاً لحياته الفكرية والمثالية وهتافاً يستطيع الإجابة على أصعب الأسئلة ، وطبيباً يكتشف الآلام المشتركة في ذاته قبل أن يكتشفها في الآخرين،ويعمل على لأمها عن طريق إعادة خلقها بشكل شعري))[66] فتبرز مخيلة الشاعر الخلابة التي تعتمد الإبداع والتميَّز في خلق القصائد، ونسج صورها من معطيات الواقع، فيعمد لتجاوز حرفية هذه المعطيات الواقعية، ويعيد تشكيلها، لتقديمها برؤية جديدة متميزة عن الواقع نفسه[67] ، فيصبح التخيل نشاطاً خلاقاً يعمل على تحطيم سور مدركاتنا المعرفية مما يجعلنا نشعر بأنّ كل شيء يبدأ من جديد، وكلّ شيء قد أكتسب معنى فريداً في جدته وأصالته[68] .

وما تقدم نجده حاضراً في (لامية الشنفرى) مع بروز واضح لمفهوم التشخيص الذي يعطى لكيانات وجمادات حياة ، وحركة، وانفعالات وجدانية ارتقت إلى حياة الإنسان،فجاءت الصور الشعرية مليئة بالحركة والحياة التي تحمل في طياتها من المشاعر ما يحمله الإنسان، لتكون معادلاً موضوعياً عن الشاعر نفسه.

والشنفرى في قصيدته يقف بحاضره لتحديد وجوده، متطلعاً في حالة من الترقب نحو المستقبل الذي يحيله إلى انفتاح على أفق جديد حاملاً تأملاته وأفكاره وتساؤلاته، وهذا كله يدور في دائرة العادات والتقاليد والأعراف في مجتمعه.

أما المكان وتجلياته في فكر الشاعر، فيتمثل بالصحراء، والجبل / المرقبة، فكلاهما يعدان من الأمكنة التي يألفها الشنفرى ولها صلة مباشرة بذاتيته، فإحساسه بالمكان قد ارتفع ((من الوجود الفعلي إلى الوجود المتصور في أعماق الذات))[69] فيتجسد الحضور المكاني في فكر الشنفرى من خلال بنائه تباعاً، باسطاً مشكلاته المختلفة بما يرفعه عن المكان الحسي المادي إلى مكان يحيط بتجليات الذات الشاعرة.

فحين يتعامل الشنفرى مع واقعه الاجتماعي نجده يعي تماماً أنَّ صورة المجتمع لم تكن متوافقة مع مكوناته الذهنية وتجلياته النفسية، فنراه يسعى دائماً إلى توظيف طاقته الممكنة من أجل تكوين صورة في قصيدته تمثل له الصورة المثالية، فيحاول كسر فكرة الواقعية، تاركاً مجالاً للذات المدركة والمصورة والمفكرة تعبر عن رغباتها، لتبتعد في بعض الأحيان عن الأحكام الجاهزة، أو الأبعاد المعرفية الثابتة الصادرة من العقل[70] ، ليفرض على متلقيه إجراء موازنة بين المقولات الذهنية، وبين الواقع وما يحصل فيه من تغيير، كاشفاً الجانب السلبي للواقع ، فهو يطرح أمام متلقيه جانباً يراه الشنفرى ملائماً لوجوده عن العالم الذي يصوره، لكنه في الوقت نفسه كان يعي بأنَّه ليس قادراً على تخطي الحواجز الاجتماعية الثابتة.

الخاتمة:

توضح دراسة الوجود عند الشنفرى في لاميته المشهورة، النتائج الآتية:

- المعرفة والخبرة التي يمتلكها (الشنفرى) كان لها أثرٌ فعالٌ في تحديد وجوده ودراسته؛ لأنَّه استطاع التعبير من خلالهما عن الحياة بمعناها الأوسع ضمن اللغة وتجربته الشعرية.
- العمل والحياة واللغة عناصر تحدد وجود (الشنفرى) في قصيدته، وتكشف عنه ببحث العلاقة بين اللغة والشعر والفكر.

- ظاهرة الحرية كان لها أثرٌ واضح في تحديد الوجود عند (الشنفرى)، وهي لا يُقصد بها مدى السيطرة والتحكم، بل يقصد بها قدرة الشاعر على محاكاة الطبيعة وتصويرها، ومشاركة الأشياء التي تحيط به لتحقيق غاية يصبو إليها ، وهي تحقيق وجوده في أثناء قصيدته.
- إنَّ العالم الذي رسمه الشنفرى - المكان والزمان والطبيعة الحية والصامتة -وطبيعة علاقته بهذا العالم يكشف حقيقة الحرية الموجودة، ويمهد الطريق إلى تعالي / علو على وفق ما يريد الشاعر وما يبدو له.
- إنّ شخصية (الشنفرى)، شخصية محورية مؤثرة، حاولت أن تغوص إلى عمق المحنة الإنسانية، ليرتفع بها إلى فضاء يتسع للجماعة ، وهم جماعة الصعاليك.
- انتقل الشاعر إلى عالم مثالي، عبر شكلين: أحدهما: الانتقال من الذاتية الحسية إلى عرض المضمون ذي الفكر الإيماني، والآخر: استبدال الواقع الراهن بالخيال الخلاق لإبراز الموجودات على وفق منظور عقلي.
- إنَّ علاقة الشاعر مع الأشياء التي تحيطه ساعدتنا على دراسة الوجود وتحديده، فالشنفرى لا يتلقى العالم كما هو، بل يقف أمامه متأملاً ومستوعباً لحقائق الوجود، فهو يدركه بسعة معرفته وخبرته ببيئته.
- وظَّف (الشنفرى) القيم الاجتماعية الأخلاقية في قصيدته لإثبات فرديته ووجوده؛ لأنه يدرك أنَّ هذه القيم يقدرها المجتمع ويقدسها، وكان يعي أيضاً أنَّ هذه المنظومة الاجتماعية الأخلاقية أكبر من الفردية التي يسعى إليها.
- إنَّ تعدد الصور التي قدمها (الشنفرى) في إبراز ظاهرة الشجاعة نجدها قائمة على الإيمان المطلق بقضيته والنابعة من ذاته، ورغباته المكبوته، فضلاً عن ارتباط صور الشجاعة بالتفكير الذي يتسم بالطابع الصعلوكي.

حين تعامل الشنفرى مع واقعه الاجتماعي، كان يعي ويدرك أنَّ صورة المجتمع غير متوافقة مع مكوناته الذهنية وتجلياته النفسية، فسعى لتكوين صورة في قصيدته تمثل الصورة المثالية التي يحاول إثباتها.

الهوامش

[1] - ينظر: مملكة الغجر (دراسات نقدية) : علي جعفر العلاق ، 15.

[2] - الأدب في خطر : تزفيطان طودوروف ، 45.

[3] - نظريات الشعر عند العرب: 91.

[4] - ينظر : الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة : مصطفى سويف : 117.

[5] - أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر – مقاربة نقدية وسجالية -: 79.

[6] - إنّ فكرة التعالي / العلو عند هيدجر : هيأنَّ الإنسان ضمن أشياء وجدت في عالمه ، ومن شأنه أن يتطلع إلى ما فوقه ، أي تجاوز الذات. ينظر : الكينونة والزمان : 123. وعند سارتر : هو ما يتجاوز الشعور في ذاته بوجه عام قائماً على الرغبة والإدراك. ينظر: الوجود والعدم : 173- 175. فنجدهما قد ركزا على الشعور وتجاوز الذات واللغة والإدراك.

[7] - في ماهية اللغة وفلسفة التأويل: سعيد توفيق ، 60.

[8] - ينظر: الكلمات والأشياء : ميشيل فوكو ، 260. يقصد بالموجودات في التأويل الظاهراتي هي ما تخلقه اللغة من

DOI: 10.18018/URUK/017-10/219-236

أشياء حول الإنسان ؛ لكونه الوحيد الذي يستطيع إدراك وجوده ، فلا يوجد هناك شيء حوله حيثما تكون الكلمة مفقودة على أن يرتب بوجدانياتنا وما هو قابل للإدراك. ينظر : الكينونة والزمان : 311 وما بعدها.

[9] - أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر : 79.

[10] - ينظر : الكلمات والأشياء : 216.

[11] - ديوان الشنفرى : 66- 67.

[12] - المصدر نفسه : 68.

[13] - ينظر:في ماهية اللغة وفلسفة التأويل: 60- 63. انطولوجيا اللغة عند مارتن هيدجر: إبراهيم أحمد 116- 118.

[14] - نظرية الأدب الوجودية والنقد الأدبي :إبراهيم علي ، مجلة الموقف الأدبي ، 31.

[15] - الزمان الوجودي : عبد الرحمن بدوي ، 38.

[16] - ينظر:المذاهب الوجودية – من كيركجورد إلى بول سارتر: ريجيس جوليفيه، تر: فؤاد كامل ،221- 222.

[17] - مكانة الشعر : عادل عبد الله ، 82.

[18] - ما الأدب : سارتر ، 137. وقد تحدث (سارتر) عن هذه القضية كثيراً ينظر (الصفحات): 98- 101، 108- 109، 135.

[19] - مكانة الشعر: 85.

[20] - ديوان الشنفرى : 58.

[21] - المصدر نفسه : 58.

[22] - المصدر نفسه : 58.

[23] - انطولوجيا اللغة عند مارتن هيدجر:51.

[24] - ينظر : الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي : يوسف خليف ، 58.

[25] - ينظر : المصدر نفسه : 58 - 59.

[26] - نظريات الشعر عند العرب : 123.وقد أكد الدكتور(عز الدين إسماعيل)هذه العلاقة بين الشاعر والمجتمع ، فرأى أنَّ العمل الفني((هو نتيجة مجهود فردي ، ولكن حصيلته الفكرية والشعرية مستمدة من علاقة الفنان بالمجتمع الذي يعيش فيه))الشعر في إطار العصر الثوري:22.

[27] - ديوان الشنفرى : 59.

[28] - ينظر : نظرية الأدب الوجودية والنقد الأدبي : 32.

[29] - ينظر : مملكة الغجر : 8.

[30] - دراسات ماركسية في الشعر والرواية : جورج طومسون وفلاديمر دنيبروف ، تر: ميشال سليمان ، 46.

[31] - ينظر: الوجود والحداثة :47. وهذا هو سمو المثالية المتعالية المنطقية عند (هيدجر)،التي ((تعري العالم من كثافته ومن تعاليه.إنَّ العالم هو ذلك الذي نتصوره في ذاتنا)) انطولوجيا اللغة عند مارتن هيدجر: 50.

[32] - ديوان الشنفرى : 58- 59.

[33] - المصدر نفسه : 59.

[34] - ينظر : شرح لامية العرب للتبريزي : تح : محمود محمد العامودي ، 146- 147.

[35] - ما الأدب : 57.

[36] - ينظر : الطبيعة في الشعر الجاهلي : نوري حمودي القيسي : 235. وهذا نجده في أغلب اللامية، على سبيل المثال : لوحة الذئب ، وقصة القطا ، وليلتا الغزو المذكورة .

[37] - ديوان الشنفرى : 72- 73.

[38] - ينظر : ما الأدب : 41.

[39] - ينظر : الزمان والمكان في الشعر الجاهلي : باديس فوغالي، 66.

[40] - ديوان الشنفرى : 60. ويذهب صاحب الأغاني إلى أنّ الشنفرى كان يتميز أيضاً ((يصنع النبل ويجعل أفواقها من القرون والعظام ، فكان أعداؤه إذا رماهم يعرفون نبله بأفواقها في قتلاهم)) الأغاني : 21/ 193- 194.

[41] - إنّ ذكر المرأة في شعر الصعاليك يوفر في معظم الأحيان الراحة والاطمئنان والمواساة ، الذي لا يعج بالمظاهر الحسية الشهوانية، وبما إن الصعاليك هم في صراع مرير ضد الحرمان والاضطهاد من جهة ، وإبراز فرديتهم ضمن دائرة المجتمع من جهة أخرى ، فالصعلوك هو أحوج إلى امرأة تقف

DOI: 10.18018/URUK/017-10/219-236

إلى جانبه ليشعر بالراحة والاطمئنان والمواساة، وتكون حافزاً على تحدي المخاطر ، وهذا ما عوضه في وصف قوسه الذي يلازمه طوال الوقت. ينظر : في النقد الجمالي(رؤية في الشعر الجاهلي) : 68- 69.

[42] - ينظر: الكينونة والزمان : 241.

[43] - البطولة في الشعر العربي : مؤيد اليوزبكي ، 82- 83.

[44] - ينظر: الشعر الجاهلي ومنطلقاته الفكرية.. وآفاقه الإبداعية : أحمد إسماعيل النعيمي : 142- 143.

[45] - فن الشعر : إحسان عباس ، 159.

[46] - الشجاعة من أجل الوجود : بول تيليش ، تر : كامل يوسف حسين ، 24.

[47] - ينظر: المصدر نفسه : 24.

[48] - ديوان الشنفرى : 59.

[49] - المصدر نفسه : 60.

[50] - المصدر نفسه : 63.

[51] - ينظر : مقاربات فنية بين لاميتي العرب والعجم : ستار جبار رزيج ، 97.

[52] - ديوان الشنفرى : 62.

[53] - المصدر نفسه : 65.

[54] - المصدر نفسه : 67.

[55] - المصدر نفسه : 69- 70.

[56] - المصدر نفسه : 70.

[57] - المصدر نفسه : 70- 71.

[58] - المصدر نفسه : 61- 62.

[59] - ينظر : شرح ودراسة لامية العرب للشنفرى : 12- 14.

[60] - ديوان الشنفرى : 63.

[61] - المصدر نفسه : 59

[62] - المصدر نفسه : 60.

[63] - يقول (روبرت شولترز) : إنَّ العالم الذي يخلقه الخيال سواء أكان قصة ،أم مسرحية ، أم قصيدة هو سياق ندركه ، وأكاد أقول نخلقه حول الرسالة التي توجه أفكارنا، ولكن وراء هذا العالم أو حوله يكمن العالم الظاهري. السيمياء والتأويل : 64.

[64] - الشعر العربي المعاصر: عز الدين إسماعيل، 230.

[65] - ينظر :الصورة الفنية: جابر عصفور : 28- 29.

[66] - دراسات ماركسية في الشعر والرواية : 55.

[67] - ينظر : الصورة الفنية : 14.

[68] - ينظر :المصدر نفسه : 14.

[69] - فلسفة المكان في الشعر العربي : حبيب مونسي ، 128.

[70] - على سبيل المثال : معرفته بالحوار الذي دار بين أفراد القبيلة التي غزاها، ومعرفته بأحوال جماعة الذئاب والقطا ، وإلف الجبل مع الأيل ، وذكر صورة الوحوش ، وسرعته في الوادي .

المصادروالمراجع

1- الأدب في خطر: تزفيطان طودوروف ، تر: عبد الكريم الشرقاوي ، دار توبقال ، ط1،الدار البيضاء- المغرب ، 2007.

2- أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر– مقاربة نقدية وسجالية -: علي حرب ، ط1، دار الطليعة، بيروت – لبنان ، 1994.

3- الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة: مصطفى سويف ،ط4 ، دار المعارف، القاهرة .

4- كتاب الأغاني : لأبي الفرج الأصفهاني ، تح: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي ومحمود محمد غنيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1993.

5- انطولوجيا اللغة عند مارتن هيدجر : إبراهيم أحمد ، ط1 ، منشورات الاختلاف،الجزائر، 1429هـ- 2008م.

6- البطولة في الشعر العربي : مؤيد اليوزبكي ، ط1 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد- العراق ، 2008.

DOI: 10.18018/URUK/017-10/219-236

7- دراسات ماركسية في الشعر والرواية :جورج طومسون و فلاديمير دنيبروف، تر: ميشال سليمان ،ط1 ، دار القلم ، بيروت – لبنان ، 1974.

8- ديوان الشنفرى : جمعه وحققه وشرحه إميل بديع يعقوب ، ط2، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، 1417هـ- 1996.

9- الزمان والمكان في الشعر الجاهلي : باديس فوغالي،ط1 ، عالم الكتب الحديث ، إربد- الأردن ، 1429هـ- 2008م.

10- الزمان الوجودي : عبد الرحمن بدوي ، ط3، دار الثقافة ، بيروت- لبنان ، 1973.

11- السيمياء والتأويل : روبرت شولز، تر: سعيد الغانمي ، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1994.

12- الشجاعة من أجل الوجود : بول تيليش ، تر : كامل يوسف حسين، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، 1401هـ- 1981.

13- شرح لامية العرب للتبريزي : تح : محمود محمد العامودي ،مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج 41 ، ج1 ، 1418هـ- 1997م.

14- شرح ودراسة لامية العرب للشنفرى : عبد الحليم حفني ، ط1، مكتبة الآداب ، القاهرة، 1429هـ- 2008م.

15- الشعر الجاهلي منطلقاته الفكرية .. وآفاقه الإبداعية : أحمد إسماعيل النعيمي، ط1، الدار العربية للموسوعات ، بيروت- لبنان، 1430هـ- 2010.

16- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي : يوسف خليف ، ط3، دار المعارف ، القاهرة .

17- الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية): عز الدين إسماعيل ، دار الثقافة ، بيروت – لبنان.

18- الشعر في إطار العصر الثوري:عز الدين إسماعيل، ط2، دار الحداثة، بيروت- لبنان ، 1985.

19- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب : جابر عصفور، ط3، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب ،1992.

20- الطبيعة في الشعر الجاهلي: نوري حمودي القيسي : ط1، دار الرشاد ، بيروت – لبنان، 1390هـ- 1970م.

21- فلسفة المكان في الشعر العربي: حبيب مونسي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، 2001.

22- فن الشعر : إحسان عباس ، ط6، دار الثقافة ، بيروت – لبنان، 1979.

23- في ماهية اللغة وفلسفة التأويل : سعيد توفيق ، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، 1423هـ- 2002م.

24- في النقد الجمالي(رؤية في الشعر الجاهلي) : أحمد محمود خليل ، ط1 ، دار الفكر ، دمشق – سورية ، 1417هـ- 1996م.

25- الكلمات والأشياء : ميشيل فوكو ، مركز الإنماء القومي، بيروت –لبنان، 1990.

26- الكينونة والزمان : مارتن هيدغر ، تر: فتحي المسكيني، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت – لبنان، 2012.

27- ما الأدب : جان بول سارتر، تر: محمد غنيمي هلال، نهضة مصر ، الفجالة- القاهرة.

DOI: 10.18018/URUK/017-10/219-236

Abstract

Lamiyat Al-Arab for Al-Shinfra recognize one of the most important poems in the Jahili's Era where carry in its folds features for intellectual and physical sides about Al-Saaleek life, also represent the live incarnation for Al-Shinfra personality, where the poet express his mental disposition in it and Emotional.

This study focus on the dealing of poet existence in the (Lamiyat Al-Arab) for Al-Shinfra through study the objectivity phenomena in the poem, like : the poet's self and its relation to the collective concern, and the transportation of Al-Shinfra from tough reality feeling injustice in it , to ideal reality represent its existence, and the relation of the poet with things / stuff which surround it, and the range of his effect in the social and moral system in limiting his existence. Therefore this objectivity phenomena within humanity performance creative thinking interfere the need of the poet to highlights his existence within the customs and traditions of society .

28- المذاهب الوجودية – من كيركجورد إلى بول سارتر- :ريجيس جوليفيه، تر: فؤاد كامل، ط1، دار الآداب، بيروت، 1988.

29- مقاربات فنية بين لاميتي العرب والعجم: ستار جبار رزيج ، مجلة القادسية ، المجلد/6، العدد/1-2 ، 2007م.

30- مكانة الشعر(مقدمات في الأصول النفسية والفكرية للقصيدة) : عادل عبد الله ، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد- العراق ، 2009.

31- مملكة الغجر (دراسات نقدية) : علي جعفر العلاق ، دار الرشيد ، العراق ، 1981.

32- نظريات الشعر عند العرب (الجاهلية والعصور الإسلامية): مصطفى الجوزو ،ط1 ، دار الطليعة ، بيروت – لبنان ، 1408هـ- 1988م.

33- نظرية الأدب الوجودية والنقد الأدبي : إبراهيم علي ، مجلة الموقف الأدبي ، العدد 33، السنة /29، 1420هـ- 1999م.

34- الوجود والحداثة (هيدغر في مناظرة الحديث): إسماعيل مهنانة ، ط1، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، 1433هـ- 2012م.

35- الوجود والعدم (بحث في الانطولوجيا الظاهرتية): جان بول سارتر ، تر: عبد الرحمن بدوي ، ط1، دار الآداب ، بيروت ، 1966.